

الكتابات التاريخية

في مسجد إبراهيم بن أدهم، جبلة

ياسر ماري

قد ترجمت مادة (إبراهيم بن أدهم) عن الموسوعة الإسلامية الكبرى الإيرانية، ونشرت هذه **كنت** الترجمة في العدد الرابع والعشرين من النشرة الثقافية (الراصد) التي تصدر عن المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت، والمادة المذكورة غنية شاملة موقّعة، إلا أنها أهملت الحديث عن مسجد إبراهيم بن أدهم في مدينة جبلة... لذلك عمدت إلى الكتابات التاريخية المتناثرة على جدران المسجد من الداخل فنقلتها استكمالاً للبحث.

اللوحة الأولى:

على الحائط الخارجي لغرفة الضريح إلى يمين الباب، نصّ الكتابة فيها:
قد نال إبراهيم من ربّه
ماتل أدهم من قبله

(شجاع)

(بطل)

ويطعمون الطعام على حبه

والناس تأتي إلى بابّه

إنّ كلمتي (بطل شجاع) تشكّلان التاريخ الحرفي لبناء الغرفة، وهي طريقة كانت مستعملة قبل اعتماد التاريخ الشعري المعروف (١). وعلى هذا فالبناء يعود إلى سنة ٤١٥ هـ = ١٠٢٤ / ١٠٢٥ م. وليس في النص إشارة إلى اسم الباني أو المشرف على البناء...

كانت بلاد الشام في الفترة التي يشير إليها التاريخ السابق تعيش حالة فوضى سياسية، فقد تمكن المرداسيون من السيطرة عليها، فدانت حلب لصالح، وبقية أجزاء الشمال لسنان، وفلسطين لحسان، ثم دخلوا بعد مقتل صالح سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م في صراع مع الفاطميين. وكانت اللاذقية من قبل قد سقطت بيد الروم البيزنطيين، وتبعت جبلة إمارة بني عمّار في طرابلس. ولم يتمكن الامبراطور

❖❖❖ التراث العربي ❖❖❖

البيزنطي (حنا ترمسكي) من الاستيلاء على طرابلس في حملته الشهيرة على الشام (٢). وعلل خلفه (نقفور) فشل خطته - في رسالته التي أرسلها إلى ملك أرمينيا (أشوط) (٣) - بصمود طرابلس في وجهه. فمن الباني الأول إذاً؟!

بقي أن نشير إلى أن محمد غالب الطويل جعل هذه السنة سنة وفاة إبراهيم بن أدهم (٤)... بينما تورخ وفاته المصادر التاريخية كلها بسنة ١٦٠هـ أو ١٦١هـ أو ١٦٢هـ وربما سنة ١٦٣هـ (٥).

اللوحة الثانية:

وتقع في الجدار الشرقي المجاور لغرفة الضريح، ونص الكتابة فيها:	
بحمد الله والهادي المعظم	وأمرار الولي طرز معتم
تكمّل ذا البنا في خير عام	ومتولّي المقام رقي مكرم
وعبد القادر الراجي ثوابا	وغفرنا له والله أعلم
برمضان المعظم جاء تاريـ	خ إتمام لإبراهيم أدهم

تاريخ هذه الكتابة وفق التأريخ الشعري سنة ٩٩٤هـ، وثمة كتابات أخرى تؤكد هذا التاريخ - سوف تذكر - وفيها إشارة إلى أن متولي المقام الحاج عبد القادر أنشأ أربع قباب لتشكل الجناح الثاني من حرم الصلاة. إلى جانب هذه اللوحة لوحة أخرى خالية من التاريخ وإنما كتبت فيها الآية القرآنية التالية على ثلاثة أسطر.

بسم الله الرحمن الرحيم
إنما يعمر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر

اللوحة الثالثة:

تقع في الجدار الشمالي، ونص الكتابة فيها:	
وفي عام تسعين مع تسعمائة	وأربع سنين قد مضين تمام
مقام ابن ادهم قدس الله سره	تكمّل في خير وحسن ختام

واضح أن هذه اللوحة إنما هي تأكيد للوحة السابقة، لكن التاريخ ذكر فيها كتابة بدل طريقة التأريخ الشعري. إلى يسار هذه اللوحة مقابل باب غرفة الضريح قطعة رخامية مدورة مثبتة في

الجدار، كتبت فيها كلمة (علي) مكررة أربع مرّات متداخلة بشكل هندسي (٦)، وإلى جانبها كتبت العبارة التالية بخطّ الثلث المتداخل:

عمل المعلم سيف الدين ابن المعلم الزين.

وإلى يمين اللوحة أيضاً لوحة ثانية قريبة من الأرض إلا أنّ الكتابة فيها مطموسة تماماً.
اللوحة الرابعة:

لوحة رخامية غير مثبتة في الجدار، موجودة في ركن من المسجد كتبت عليه العبارات التالية على ستة أسطر:

(الله حقّ)

(أنشأ هذه القباب الأربع في هذا)

(المكان الراجي عفو الملك المنان)

(الحاج عبد القادر المتولّي بالمقام الشريف).

(ومباشرة الوكيل محمد بن إبراهيم الضعيف).

(سنة ٩٩٤).

هذه اللوحة هي تأكيد لكلّ من اللوحتين السابقتين الثانية والثالثة، وقد كتب فيها التاريخ بالأرقام، وفيها بيان لبناء أربع قباب، تشكل الجناح الثاني من حرم الصلاة، وفيها ذكر لاسم الوكيل المباشر للعمل محمد بن إبراهيم الضعيف... إلا أنّ قراءة كلمة الضعيف قراءة ظنيّة لأنّها وقعت في طرف السطر وأصابها شيء من التلف.

اللوحة الخامسة:

وتقع في الجدار الشرقي للإيوان الشمالي المفتوح على حرم الصلاة، والمجاور. لغرفة ضريح (إبراهيم بن بشار؟) (٧)، واللوحة تقع أعلى الحائط، وفيها ستة أسطر بخطّ الثلث المتداخل، كتب فيها:

١- بسم الله الرحمن الرحيم إنّنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً. أنشأ هذا المكان المبارك في

٢- أيام مولانا المقرّ الأشرف العالي المولوي الكافلي السيفي طرغاي الصالحي كافل الممالك الطرابلسية.

٣- أعزّ الله أنصاره وذلك بإذن العبد الفقير إلى الله تعالى عزّ الدين أبيك بن عبد الله الداودار.

٤- من ماله أثابه الله تعالى ابتغى به وجه الله والدار الآخرة سنة

٥- ثلث وأربعين وسبعمائة

٦- وتولى عمارته الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن عثمان الهكاري.

يذكرنا تاريخ اللوحة على أن هذا الإيوان بني خلال حكم السلطان الناصر عماد الدين اسماعيل ونيابة طرغاي الصالحي عن طرابلسي... وكان طرغاي قد تولى نيابة طرابلس في شهر رجب من سنة ٧٤٣ هـ (٨) في السنة التي بنى بها هذا الإيوان ، ثم توفي في السنة التالية (٩).

اللوحة السادسة:

على العمود الغربي في حرم الصلاة، وفيها ثمانية أسطر، لكن قراءتها متعذرة لما أصابها من تلف، ويمكننا باطمئنان أن نقرأ العبارات التالية.

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- أنشأ هذه البركة والبلاطة == واصلاح ==

٣- ===== الفقير إلى إحسان الله.

٤- المقر العادل الأشرفي =====

٥- في مدة =====

٦- ===== المملكة الطرابلسية في شهر ربيع الأول.

٧- ===== إحدى و ===== وتولى =====

٨- القيم =====

تعود هذه اللوحة إلى العصر المملوكي، وفيها إشارة إلى وجود بركة ماء، في المسجد، وكان ابن بطوطة قد تحدث عن بركة في زاوية إبراهيم بن أدهم عندما زار مدينة جبلة (١٠).

اللوحة السابعة:

تقع على الحائط الجنوبي قرب المدخل، وتحوي ثلاثة أسطر، كتب فيها مايلي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذا المكان المبارك المعمور.

٢- بذكر الله تعالى مولانا الحاج أبو اسماعيل بن عزمت سدد الله =====

٣- وخلد الله ===== في شهر ربيع الأول سنة سبع وألف من الهجرة.

تعود هذه اللوحة إلى العصر العثماني، وإلى زمن السلطان محمد الثالث، أما الحاج أبو اسماعيل بن عزمت فلم أعثر في كتب التاريخ على مايشير إليه... وإن قراءة الاسم ليكتنفها شيء من الغموض.

